التبيان فى قضية الاستشفاء بالقرآن

للدكتور
عبد الله الشمندى عبد الله محمود العوارى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
بكلية أصول الدين بالقاهرة
وكلية المعلمين بالقنفذة بالمملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فإن موضوع "الاستشفاء بالقرآن" من الموضوعات المهمة التى تشغل الفكر البشرى بين الحين والآخر لأسباب واعتبارات مختلفة منها على سبيل المثال: هجر الناس لعيادات الطب النفسى وهرولتهم نحو مراكز العلاج بالقرآن، ومنها - أيضاً - الإصدارات المتعددة وشبه اليومية عن النتائج الهائلة التى تحققها تلك المراكز. تلك النتائج التى يأتى الحديث عنها على ألسنة المعالجين بالقرآن حيناً - وعلى ألسنة بعض المرضى - حيناً آخر.

فحدث جراء ذلك فى هذه الآونة ما يمكن تسميته "رجع الصدى" تمثل فى زخم إعلامى هائل ما بين حوارات، ومناظرات وتحقيقات، وما سموه اختراقات، وأحاديث فردية أجريت بهذا الشأن.

فإذا بالقوم ما بين منكر مستهزئ مستخف بهذا الأمر معتبره ضرباً من ضروب الجدل والشعوذة، وما بين قائل به على الإطلاق، وما بين قائل به ولكن بشروط وضوابط، وما بين مفصل فى المقام ومفرق بين ما هو أمراض أبدان وأمراض قلوب بل فرق بعضهم بين أمراض القلوب والأمراض النفسية، بل فى النفسية بين ما سببه أمراض نفسية بحتة، وما سببه إيذاءات شيطانية.

وإزاء هذه التوجهات المتعددة والمتباينة عقدت العزم على تناول هذا الموضوع والكتابة فيه من خلال هذا البحث وبحيادية تامة إن شاء الله تعالى.

فقمت - مستعيناً بالله عز وجل - بجمع النصوص المتعلقة بالموضوع ودراستها دراسة مستفيضة من خلال الكتب المعنية بذلك - أعنى التى فيها الشروح والتعليقات على تلك النصوص - هذا إلى جانب استعراضى لكثير من كتب علم النفس، وكتب المعالجين بالقرآن، وغير ذلك من سجلات ودوريات وفتاوى هيئات علمية ...إلخ.

فـأزعم أنـنى وجدت وبحمد الله ضالتى التى آمل أن أحقق من خـلال حصولى عليها بغيتى فى إخراج بحث بهذا الخصوص أرجو أن يكون نافعاً ومفيداً، فيه ما يشفى الغليل ويفى بالمطلوب.

فقمـت بوضـع خطـة له تتمحور حول ، مقدمة وتمهيد، وعدة مباحث، وخاتمة.

التمهيد

وفيه عدة مسائل:

أولها – الآيات القرآنية الواردة فى المقام

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]

٢- قـال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: من الآية٨٢]

٣- وقـال تعـالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِـيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: من الآية٤٤]

هـذه هـى الآيـات الواردة فى المقام والتى لها صلة بموضوع البحث، بل هى التى يقوم عليها البحث.

وإلا فهـناك آيـة وردت فيها كلمة (شفاء) ولكنها لم تضف إلى القرآن وإنما أضيفت إلى العسل.

قـال تعـالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: من الآية٦٩].

وكذلـك لا يـتعلق بموضـوعنا ورودها فعلاً مضارعاً فى قوله تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: من الآية١٤]

وقوله تعالى ذاكراً لدعاء إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]

أقول بعد كل هذا: إن الذى يتعلق بموضوع البحث من هذه الآيات ما جاء منها مضافاً إلى القرآن الكريم.

ثانيها – المعانى التى وردت عليها كلمة (شفاء) فى القرآن

قـال ابـن الجوزى: ذكر أهل التفسير أن الشفاء فى القرآن على ثلاثة أوجه:

أحدهـا: الفرح ومنه قوله تعالى : ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: من الآية١٤]

ثانـيها: العافـية ومـنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]

ثالثها: البيان وذلك فى قوله تعالى: ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس ٥٧] ، وقوله تعالى: قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: من الآية٤٤] أ. هـ[١].

والملاحظ فيما ذكره ابن الجوزى أن كلمة (شفاء) المضافة إلى القرآن تعنى (البيان) وكأنها لم تفد إلا هذا فى حين أن معظم المفسرين الذين نسب هذه الأوجه إليهم ذكروا أن من معانى (كلمة شفاء) الاستشفاء بدليل كلامهم عن الاستشفاء بالقرآن عند تفسيرهم للآيات ذات الصلة بل واستطرادهم فى ذلك كما فعل القرطبى رحمه الله وغيره وكذلك فعل من كتب فى خواص القرآن كتباً مستقلة أو أبحاثاً ضمن كتب علوم القرآن.

هذا فضلاً عما فعله المحدثون فى كتبهم حيث عقدوا أبواباً بعنوان (الرقى بالقرآن) و(الرقى بالفاتحة والمعوذتين) وعقد ابن ماجة فى سننه باباً سماه (الاستشفاء بالقرآن) اللهم إذا أراد ابن الجوزى بـ (البيان) معناه العام الشامل الذى يشمل ما نحن بصدده – أيضاً

وقال ابن عاشور فى تفسيره (الشفاء) حقيقته زوال المرض والألم ومجازه زوال النقائص ونحوها[٢]، وعليه فأقول إن من معانى كلمة (شفاء) الاستشفاء.

ثالثها- المصطلحات المستعملة فى المقام

١- الاستشفاء بالقرآن وهو ما يشير إليه ظاهر الآيات.
٢- الرقية بالقرآن.
٣- التداوى بالقرآن. وهذان المصطلحان نص عليهما فى السنة
٤- العلاج بالقرآن. وهذا المصطلح بات أشهر هذه المصطلحات جميعها

(١) نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى تحقيق محمد عبد الكريم كاظم، حرف الشين، باب الشفاء، ص ٣٧، ط أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
(٢) التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٠١، ج ١٥، ص ١٨٩.

المسألة الرابعة: فى معنى (مِن) فى قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ ﴾ [الإسراء: من الآية٨٢]

قال القرطبى رحمه الله تعالى: (مِن) لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال: "وننزل ما فيه شفاء من القرآن، ثم قال: وأنكر بعض المتأولين أن تكون (من) للتبعيض؛ لأنه يلزم حينئذ أن بعضه لا شفاء فيه. أ. هـ[١]

قلت: والقول إن (من) للتبعيض ترده الآيات الأخرى المثبتة أن القرآن كله شفاء.

المسألة الخامسة: فى التنبيه إلى أن القرآن ليس كتاب طب

إن القرآن الكريم ليس كتاب طب ولا كتاب نظريات علمية أو نفسية لكنه يحوى التوجيهات الكاملة الكافية لإنشاء هذه النظريات إنه كتاب تربية وتوجيه، ومن خلال هذا التوجيه يكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه وأسرار الكون من حوله، ويدعوه إلى دراسة هذه وتلك ليعرف وليتعلم ومن ثم يتجه الاتجاه الصحيح. أ. هـ بتصرف[٢].

المسألة السادسة: فى التنبيه إلى أن كتابى فى هذا الموضوع لا تعنى بالضرورة كونى ممن يمارس هذا الأمر.

وإنما دافعى الحقيقى- إلى جانب ما ذكرته فى المقدمة من دوافع- هو أن هذا الموضوع يعتبر من صميم (خواص القرآن) حسبما هو متقرر لدى علماء التفسير وعلوم القرآن، وقد تناولوه بالفعل فى مؤلفاتهم شرحاً وتفصيلاً، وبما أننى متخصص فى هذا المجال (أعنى التفسير وعلوم القرآن) رأيت أن الواجب يحتم على بل وعلى أمثالى المشاركة الهادفة إلى إحقاق الحق بإذن الله وسط هذا الزخم الهائل الذى أشرت إليه فى المقدمة.

المسألة السابعة:

فى التنبيه إلى أنه قد يحدث أن أستعمل أثناء الكتابة فيما يأتى من البحث المصطلحات السالفة الذكر جميعها أحياناً كمصطلح "علاج" مثلاً، أو "رقية"، أو "تداوى" بدل مصطلح استشفاء. على اعتبار أنها كلها تشترك

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ٢٧٥/١٠، ط أولى، دار الكتاب العربى، بيروت.
(٢) العلاج النفسى فى ضوء القرآن والسنة د.عبد المنان ملا معمور يوسف بار، ص ٢٩، ط أولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

– حقيقة – فى الدلالة على شئ واحد هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى أن بعضها أكثر تداولاً عن البعض الآخر.

هذا فضلاً عن أنه قد يقع هذا الأمر عفوياً ودون قصد.

وقصدت التنبيه إلى ذلك حتى لا يأخذ أحد على استعمال المصطلح الآخر غير الوارد فى عنوان البحث.

المبحث الأول

مشروعية التداوى من الأمراض وبيان كونه غير مناقض للتوكل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول

مشروعية التداوى من الأمراض

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: لما كانت الصحة والعافية من أجل نعم الله على عبده، وأجزل عطاياه وأوفر منحه، بل العافية المطلقة أجل النعم على الإطلاق، فحقيق لمن رزقه حظاً من التوفيق مراعاتها وحفظها وحمايتها عما يضادها.

روى البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"(١). أ. هـ (٢).

ومن صور مراعاة الصحة والعافية والمحافظة عليهما الوقاية من الأمراض قبل وقوعها، والتداوى منها عند حصولها.

وهذا أمر مشروع حث عليه القرآن بأساليب مختلفة من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِن الله كان بكم رحيما﴾ [النساء: من الآية٢٩]

قال المفسرون : ويدخل فى ذلك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة وفعل الأخطار المقضية إلى التلف والهلاك(٣).

وقال العلامة ابن عاشور : والآية تحتمل جميع المعانى المقبولة، ووقوع فعل (تلقوا) فى سياق النهى يقتضى عموم كل إلقاء باليد للتهلكة. أ.هـ(٤).

لذا رأينا الصحابى الجليل عمرو بن العاص يتأول هذه الآية عندما أصابته الجنابة فى يوم شديد البرودة فخشى على نفسه الهلاك إن اغتسل

---

(١) صحيح البخارى ك الرقاق، ب الصحة والفراغ، ج ٧ ، ص ١٧٠، ط موسوعة السنة.

(٢) الطب النبوى لابن القيم، ص ٢١٤ – ٢١٥، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ١٩، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن السعدى، ص ١٧٥، ط أولى، دار ابن الهيثم، القاهرة.

(٤) التحرير والتنوير، جـ٢، ص ٢١٥.

بالمـــاء البارد فتيمم وصلى الناس وعندما اعترضوا عليه قال ألم يقل الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ فأقره الرسول ﷺ على ذلك[١].

ومن ذلك – أيضاً – قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: من الآية١٩٥] ويستفاد – أيضاً – من عموم هذه الآية أن ترك التداوى يمكن أن يقضى إلى الهلاك فيكون حينئذ إثماً.

ومـــن المعلوم أن حفظ النفس وهى من الكليات الخمس ضرورى وأن تركه إثم.

وهناك – آيات كثيرة فى المقام والتى تشير وتدعوا إلى الحمية أى الوقاية من الأمراض كآيات تحريم إتيان المرأة الحائض وكتحريم الفاحشة بأنواعها...إلخ.

أمـــا الســـنة فقد وردت فيها نصوص كثيرة تدل على مشروعية التداوى منها على سبيل المثال:

١- مـــا رواه مســـلم عن جابر بن عبد الله ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: "لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله"[٢].

٢- ما أخرجه أحمد وغيره عن أسامة بن شريك قال كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا يا رسول الله : أنتداوى؟ فقال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد قالوا: ما هو؟ قال: "الهرم"[٣].

٣- فعلـــه ﷺ حيث كان من هديه ﷺ فعل التداوى فى نفسه لما روته السيدة عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيديه رجاء بركتهما[٤].

---

(١) أخـــرجه الحاكم، ج١، ص ١٧٧، وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، وأخرجه أحمد فى مسنده ٢٠٣/٤، ٢٠٤، وقال الحافظ ابن حجر فى الفتح ٤٥٤/١، إسناده قوى.

(٢) صحيح مسلم ك السلام. ب لكل داء دواء واستحباب التداوى حديث رقم ٢٢٠٤.

(٣) مســـند الإمـــام أحمد ٢٧٨/٤، وسنن ابن ماجة، حديث ٣٤٣٦، وسنن الترمذى، ك الطب، ب. ما جاء فى الدواء والحث عليه حديث ٢٠٣٩.

(٤) مـــتفق عليه واللفظ للبخارى، انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ محمد فؤاد عبد الباقى ك السلام، ب رقية المريض بالمعوذات، حديث رقم ١٤١٥، ج ٢، ص ٣٦٠، دار الثريا والرياض.

وكذلك كان يرقى غيره ﷺ[١].

يقـــول الإمام النووى معلقاً على هذه الأحاديث وأمثالها : فى هذه الأحاديـــث إشـــارة إلى استحباب الدواء ، وهو مذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلق، ونقل عن القاضى قوله: فى هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطيب فى الجملة.

ثـــم قال: وفيها رد على من أنكر التداوى من غلاة الصوفية وقال كل شئ بقضاء وقدر فلا حاجة إلى التداوى أ. هـــ[٢].

قلـــت: مـــن كل ما سبق يتضح بجلاء أن التداوى من الأمراض مشـــروع وأن تركه يعد مخالفة لهدى الإسلام بل قد يعد تركه – وخاصة إذا كان المرض شديداً – من قبيل قتل النفس وإلقائها إلى التهلكة.

---

(١) مسلم بشرح النووى، ج١٤، ص ١٨٤، ط ١٤٠، دار الكتاب العربى، بيروت.

(٢) السابق، ص ١٩٠ – ١٩١.

المطلب الثانى

بيان أن التداوى من الأمراض غير متناقض للتوكل

نص غير واحد من العلماء على أن التداوى من الأمراض لا ينافى التوكل على الله تعالى كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها كما لا ينافيه – أيضاً – صب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها فى البيت.

بل إن حقيقة التوحيد لا تتم إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله عز وجل مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وأن تعطيلها يقدح فى نفس التوكل كما يقدح فى الأمر والحكمة، ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل.

بل لابد مع اعتماد القلب على الله فى حصول الضر والنفع من اعتماد مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً.

وفى النصوص السالفة الذكر والتى سترد أبلغ الرد على من أنكر التداوى وقال: إن كان الشفاء قد قدر فالتداوى لا يفيد، وإن لم يكن قد قدر فكذلك، وأيضاً – فإن لمرض حصل بقدر الله، وقدر الله لا يدفع ولا يرد.

وهذا السؤال هو الذى أورده الأعراب على رسول الله ﷺ كما جاء فى مسند أحمد وكتب السنن عن أبى خزامة قال: قلت يا رسول الله: أرأيت رقى تسترقيها وداء تتداوى به وتقاه تتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً؛ فقال ﷺ: "هى من قدر الله"(١).

وعلى هذا فكل من قدر الله الدافع والمدفوع والدفع ويقال لمورد هذا السؤال: هذا يوجب عليك ألا تباشر سبباً من الأسباب التى تجلب بها منفعة، أو تدفع بها مضرة؛ لأنهما حينئذ إن قدرتا لم يكن بد من وقوعهما، وإن لم تقدرا لم يكن سبيل إلى وقوعهما وفى ذلك فساد الدين والدنيا وخراب العالم. وهذا لا يقوله إلا دافع للحق معاند له، فيتذكر القدر ليدفع حجة المحق عليه كالمشركين الذين قالوا:(لوشاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) (سورة الأنعام الآية : ١٤٨) فهذا قالوه دفعاً لحجة الله عليهم.

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣/٤٢١.

ومما يدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر ﷺ من أنه أبى دخول القرية التى حل بها الطاعون فقال لمن عاتبه – قائلاً – أتفر من قدر الله؟ – "نفر من قدر الله إلى قدر الله"(١).

فإذا كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أعلى المقامات إن كان أمثال هذا من شرط التوكل.

بل ومما هو أظهر دلالة على ذلك فعل الرسول ﷺ ووصيته به فإن قيل: إنما فعله رسول الله ﷺ ليسن لغيره، وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء فيقال: كونه يفعله ﷺ ليسن لغيره دليل على مشروعيته ولو أنه كان ينافى التوكل ما فعله ﷺ إذ كيف يسن ما ينافى التوكل.

وعلى المرء أن يعتقد أن الأدوية لا تنجح بذواتها بل بما قدره الله تعالى فيها، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك وإليه الإشارة بحديث جابر (...بإذن الله)(٢) فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته. أ. هـ ملخصاً من عدة مراجع(٣).

وبالجملة: فالقرآن من أوله إلى آخره صريح فى ترتيب الجزاء بالخير والشر والأحكام الكونية والأمرية على الأسباب، بل ترتيب أحكام الدنيا والآخرة، ومصالحهما ومفاسدهما على الأسباب والأعمال.

ومن تفقه فى هذه المسألة وتأملها انتفع بها غاية النفع ولم يتكل على القدر جهلاً منه وعجزاً، وتفريطاً وإضاعة فيكون توكله عجزاً وعجزه توكلاً.

---

(١) متفق عليه، انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ك السلام، ب الطاعون والطيرة، حديث ١٤٣٤ ج٢، ص ٣٦٤.

(٢) سبق عند الكلام عن حث السنة على التداوى.

(٣) الطب النبوى لابن القيم ، ص ١٤ – ١٧.
– زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم، ص ٦٧، فما بعدها، ج٣، ط ثانية، دار الفكر.
– إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى، ج٢، ص ٣٧٨ – ٣٧٩، وص ٣٨٥ ، ط رابعة، المكتبة العصرية، بيروت.
– إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للعلامة محمد بن محمد الزبيدى، ج٩، ص ٥١٥، ط دار الفكر.
– فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى، ج ١٠، ص ١٣٥، ط دار المعرفة، بيروت.
– صحيح مسلم بشرح النووى، ج١٤، ص ١٩١.

بل الفقيه كل الفقه الذى يرد القدر بالقدر.

بل لا يمكن لإنسان أن يعيش إلا بذلك. فإن البرد والجوع والعطش وأنواع المخاوف والمحاذير هى من القدر، والخلق كلهم ساعون فى دفع هذا القدر بالقدر. أهـ[١].

وبذلك يتضح جلياً أن التداوى من الأمراض غير مناقض للتوكل على الله تعالى، بل إن تعاطيه من صميم التوكل والله أعلم.

المبحث الثانى

مدى مشروعية الاستشفاء بالقرآن الكريم

قبل الشروع فى الحديث عن هذا الأمر يجمل بى أن أنبه إلى أن هذا الموضوع بهذا العنوان يختلف عن سابقه الذى هو بعنوان (مشروعية التداوى من الأمراض)؛ لأن الذى هنا بخصوص الاستشفاء بالقرآن أما الذى هناك ففى مشروعية التداوى بعموم الأدوية.

أما عن مشروعية الاستشفاء بالقرآن فيمكن الاستدلال عليها من عدة وجوه:

أولها: ما يفيده ظاهر الآيات الثلاث التى هى الأصل فى هذا البحث والتى سبق ذكرها فى المسألة الأولى من التمهيد.

فقد وصف الله عز وجل القرآن فى ثلاثتها بأنها "شفاء" ولا يليق وصف الله القرآن بهذا إلا إذا كان هذا الوصف متمكناً منه بحيث يعرف به. بمعنى أن الشفاء خاصية فعلية فى القرآن، وإلا لكان وصفه بذلك عبثاً والعبث محال على الله عز وجل.

ثانيها: ما جاء فى السنة النبوية القولية منها والفعلية والتقريرية مما يدل على مشروعية ذلك، ومن رام الوقوف على ذلك فليراجع على سبيل المثال صحيح البخارى كتاب الطب، أو صحيح مسلم، كتاب السلام، أو سائر كتب السنة، أو كتاب الطب النبوى لابن القيم، هذا فضلاً عما سيتفق عليه منها فى ثنايا هذا البحث.

---

(١) الداء والدواء لأبى عبد الله شمس الدين بن قيم الجوزية، تحقيق هانى الحاج، ص ٢٣، ط المكتبة التوفيقية، القاهرة.

ثالثها: ما جاء من حديث العلماء المعنيين بالدراسات القرآنية أولئك الذين تحدث بعضهم باستطراد وتفصيل عن الاستشفاء بالقرآن كما فعل القرطبى وغيره.

كذلك إذا يممت وجهك شطر كتب علوم القرآن وجدت مؤلفيها وهم يتحدثون عن "خواص القرآن وخصائصه" ينصون على أن "كون القرآن شفاء" هو من أبرز هذه الخصائص وتلك الخواص، ويستفيضون فى الحديث عن ذلك استفاضة تدل على مشروعيته حسبما يفهم من كلامهم، ومن رام صدق ذلك فليراجع على سبيل المثال: البرهان للزركشى، أو الإتقان للسيوطى.

ولا يفوتنى هنا أن أنوه بموقف علماء الحديث حيال هذا الأمر من عقدهم أبواباً فى كتبهم بعناوين تفهم مشروعية ذلك فى نظرهم فقد عقد البخارى باباً بعنوان "الرقى بالقرآن والمعوذات"، وباباً بعنوان "الرقية بفاتحة الكتاب"، وكذلك فعل مسلم فى صحيحه وعقد ابن ماجة باباً بعنوان "الاستشفاء بالقرآن"، وكذلك فعل أصحاب السنن وقد ضمنوا تلك الأبواب جل الأحاديث الواردة بهذا الخصوص.

هذا فضلاً عما نص عليه شراح هذه الكتب مما متفق عليه فى الوجه الآتى:

الوجه الرابع أقوال العلماء فى ذلك

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى: أما الرقى بالقرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهى فيه بل هو سنة.

ثم قال: وقد نقلوا الإجماع على جواز ذلك.

ثم قال – أيضاً – قال المازرى: جميع الرقى جائزة إذا كانت بكتاب الله تعالى أو بذكره. أ.هـ[١].

وقال – أيضاً – عند شرحه لحديث رقية اللديغ بالفاتحة: فيه التصريح بأنها رقية فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات. أهـ[٢].

وقد حكى الإجماع على جواز الرقية هذه الإمام البغوى[٣].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٩/١٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٨٨.
(٣) شرح السنة ١٥٨/١٢، ط أولى المكتب الإسلامى بيروت.

وقال الحافظ ابن حجر: وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

أولها: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

ثانيها: باللسان العربى.

ثالثها: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بذات الله تعالى. أ. هـ[١].

وقال الربيع بن أنس سألت الشافعى عن الرقية فقال: لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله وبما يعرف من ذكر الله تعالى. أ. هـ[٢].

قلت: يستفاد من كل ما سبق أن الاستشفاء بالقرآن مشروع وكونه مشروعاً لا يعنى بالضرورة ترك العلاج بالأدوية الطبيعية إذا لزم الأمر، وسيأتى لهذه الجزئية مزيد بيان فى حينه إن شاء الله تعالى.

تنبيه

قال النووى وهذا[٣] لا يتعارض مع ماورد فى الذين يدخلون الجنة بغير حساب (أنهم لا يرقون ولا يسترقون) لأن المدح فى ترك الرقى المراد بها الرقى التى هى من كلام الكفار والرقى المجهولة والتى بغير العربية وما لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال أنها كفر أو قريب منه أو مكروهة أما الرقى بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهى فيه بل هو سنة.

ثم قال : وأما قوله ﷺ "لا رقية إلا من عين أو حمة" فقال العلماء لم يرد به حصر الرقية الجائزة فيهما ومنعها فيما عداهما، وإنما المراد : لا رقية أحق وأولى من رقية العين والحمة لشدة الضرر فيهما. أهـ[٤].

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى، ١٠/١٩٥، دار المعرفة، بيروت.

(٢) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ٢/٢١١، النوع الخامس والسبعون "خواص القرآن".

(٣) يعنى الرقية.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى، ج١٤، ص ١٦٩.

المبحث الثالث

أنواع الأمراض

من المقطوع به أن الكائن الإنسانى جمع فى تكوينه بين عنصرين:

أحدهما: عنصر المادة المتمثل فى الجسد، وهو الجانب الذى يتجلى فى دوافع الإنسان الفطرية التى هى متطلبات هذا الجسد.

ثانيهما: عنصر الروح الذى يتمثل فى قيمه وأخلاقه وانفعالاته

وإلى هذين العنصرين جاءت الإشارة فى قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٢]

ومن المقطوع به - أيضاً - أن كل عنصر من هذين العنصرين يصاب بأمراض تتفق وطبيعته التكوينية.

فالجسد أمراضه مادية عضوية كالفيروسات وما تجرى لأجله العمليات الجراحية وما شاكل ذلك مما هو معروف أنه أمراض جسدية، وأما الروح: فأمراضها ما يعرف بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: المرض نوعان: مرض القلوب ومرض الأبدان وهما مذكوران فى القرآن.

فمرض القلوب جاءت الإشارة إليه فى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: من الآية١٠]

وقال تعالى فى حق من دعى تحكيم القرآن والسنة فأبى وأعرض ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ [النور: من الآية٥٠]

فهذا مرض الشبهات والشكوك.

ثم قال: وهناك أمراض الشهوات وإليها الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فهذا مرض الشهوة [الأحزاب: من الآية٣٢]

وأما أمراض الأبدان فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حرج....﴾ [النور: من الآية٦١]

وذكـر القرآن مرض الأبدان كذلك فى الحج والصوم والوضوء لسـر بديـع يبين لك عظمة القرآن الكريم، وذلك أن قواعد الطب للأبدان ثلاثة:

أولهـا: حفـظ الصحة، وإليها يشير قوله تعالى فى آية الصوم : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: من الآية ١٨٤] فأبـاح الفطر للمريض لعذر المرض وللمسافر طلباً لحفظ صحته وقوته عما يضعفها.

ثانـيها: اسـتفراغ المواد الفاسدة وإليها الإشارة بقوله تعالى فى سورة الحج ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَـدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: من الآية١٩٦] فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه من قمل أو حكة أو غيرهما أن يحلق رأسه فى الحرام استفراغاً لمـادة الأبخـرة الرديـئة التى أوجبت له الأذى فى رأسه باحتقانها تحت الشعر فهذا الاستفراغ يقاس عليه كل استفراغ يؤذى انحباسه.

ثالثها: الحمية عن المؤذى (أى الوقاية) .

وإليها الإشارة بقوله تعالى فى آية الوضوء ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَـى سَـفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَـيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ [النساء: من الآية٤٣] فأباح للمريض العدول عن الماء إلى التراب حمية "وقاية" له أن يصيب جسده ما يؤذيه.

وهذا تنبيه على الحمية "الوقاية" عن كل مؤذٍ له من داخل أو خارج أ هـ بتصرف[١].

وقد قسم بعضهم الأمراض تقسيماً مفصلاً على النحو الآتى:

هـناك أمراض عضوية بحتة كالإصابة بالفيروسات ونحوها مما هو متقرر أنه مرض عضوى.

وهناك أمراض نفسية بحتة كالقلق والاكتئاب ونحو ذلك.

وهناك أمراض عضوية سببها نفسى.

وهناك أمراض نفسية سببها عضوى.

وقالوا إن الحكمة من هذا التقسيم هى تيسير تحديد العلاج الملائم لكل نوع من هذه الأنواع أ هـ بتصرف[١].

---

(١) الطـب النـبوى لابن القيم، ص ٥ – ٧ وانظر زاد المعاد فى هدى خير العباد له أيضاً، ج ٣، ص ٦٤، ط ٢، دار الفكر.

وبعد: فأى نوع من هذه الأمراض يمكن الاستشفاء منه بالقرآن؟

الجواب على هذا السؤال سيأتى تفصيله فى المبحث التالى.

المبحث الرابع

الأقوال الواردة فى نوعية الأمراض التى يستشفى منها بالقرآن الكريم

وفيه مطلبان:

أولهما – أقوال العلماء فى ذلك

يقـول الإمام القرطبى رحمه الله تعالى: اختلف العلماء فى كونه شفاء على قولين:

أحدهمـا: أنـه شـفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الريب ولكشف أخطاء القلب ونحو ذلك.

ثانـيهما: أنـه شفاء من الأمراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحو ذلك .أهـ[٢].

ثم ذكر جملة من الأحاديث الواردة فى المقام كحديث رقية اللديغ بالفاتحـة وحديـث رقـية الرسول ﷺ نفسه بالمعوذات وغيرهما، وهذه الأحاديث سيأتى ذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة.

ثـم قـال: فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفى القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه "أى الوقاية" لمن رزقه الله فهماً فى كتابه. أ هـ[٣].

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى – بعد ذكره لما قاله القرطبى كما سبق – : ولا مانع من حمل الشفاء على المعنيين من باب حمل المشترك على معنييه أهـ[١].

---

(١) دلـيل المعالجيـن بالقـرآن للشـيخ رياض محمد سماحة، ص ١٣ – ١٥، الطبعة السابعة، مطابع دار الأخبار.
وانظر كتاب الأمراض النفسية للدكتور فائز محمد الحاج، ص ٤٢ – ١٣، ط ثانية، المكتبة الإسلامية ، بيروت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى، ٢٥٧/١٠، ط أولى، دار الكتاب العربى بيروت.

(٣) زاد المعاد ١٧٨/٣ والطب النبوى ٣٥٢.

أما العلامة ابن عاشور رحمه الله تعالى فقد قال عند تفسيره لآية الإسراء الواردة فى هذا المقام ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ [الإسراء: من الآية٨٢] قال: بعد أن ذكر كلاماً طويلاً وفى الآية دليل على أن فى القرآن آيات يشتفى بها من الأدواء والآلام وورد تعيينها فى الأخبار الصحيحة فشملتها الآية بطريقة استعمال المشترك فى معنييه.

ثم قال: والأخبار الصحيحة فى قراءة آيات معينة للاستشفاء من أدواء موصوفة – فضلاً عن الاستعاذة بآيات منه من الضلال – كثيرة.

ثم ذكر حديث رقية اللديغ بالفاتحة[٢].

وجاء فى الموسوعة الفقهية – إصدار وزارة الأوقاف الكويتية – أن جمهور الفقهاء جوزوا الاستشفاء بالقرآن بأن يقرأ على المريض أو الملدوغ الفاتحة، ويتحرى ما يناسب وإن كان القرآن كله شفاء. أ هـ[٣].

وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى عند شرحه لحديث الرقية بالفاتحة للديغ: فيه التصريح بأنها رقية فيستحب أن يقرأ بها على اللديغ والمريض وسائر أصحاب الأسقام والعاهات. أ هـ[٤].

وقد فصل بعضهم فقال: إن الأمراض العضوية البحتة كالإصابة بالفيرس والميكروبات ونحوهما من الأمراض العضوية المعروفة: فعلاجها يكون بالماديات – يقصد الطب البشرى – ولا مانع حينئذ من الرقية الشرعية بل تكون مستحبة.

أما إن كان المرض عضوياً سببه روحى كالأمراض الناجمة عن إيذاءات شيطانية. من صداع، أو شلل – أحياناً، ونحو ذلك، فعلاجه يكون روحياً أى بالقرآن.

وكذلك إذا كان روحياً بحتاً كالأمراض النفسية ونحوها – يقصد أنه يعالج بالقرآن.

أما إذا كان المرض عضوياً وروحياً فهو فى حاجة إلى العلاج بالأمرين معاً. العلاج العضوى (البشرى)، والروحى (أى القرآنى) أ هـ بتصرف[٥].

---

(١) فتح القدير: ٣٥٨/٣، ط أولى دار الحديث بالقاهرة.
(٢) التحرير والتنوير ١٩٠/١٥.
(٣) ج ١٣، ص ٢٨، ط ثانية.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ١٨٨/١٤.
(٥) دليل المعالجين بالقرآن، ص ١٣ فما بعدها.

هذا هو مجمل ما وقفت عليه من أقوال العلماء فى هذا المقام.

والواضح من هذه الأقوال أنها تتفق جميعها على كون القرآن شفاء لأمراض القلوب.

أما كونه شفاء لجميع الأمراض القلبية منها والبدنية، فهو قول للبعض.

فأى هذه الأقوال أولى بالقبول.

أقول: لعل فيما يأتى – وهو ذكر رأى فى المقام – جواب على هذا السؤال.

المطلب الثانى : موقف الباحث

أقول – وبالله التوفيق – بعد إنعام النظر وإمعان الفكر فى النصوص القرآنية الواردة فى المقام، والتى تفيد أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.

وكذلك النصوص القرآنية الأخرى ذات الصلة.

وبعد النظر – كذلك – فى نصوص السنة النبوية المطهرة ذات الصلة – أيضاً – وفى آثار السلف الصالح، وفى الواقع الذى لا يمكن التغاضى عنه، أو مدافعته، وفى أقوال العلماء سواء منهم المتخصصون فى الدراسات الدينية، أم المتخصصون فى العلوم الإنسانية كعلم النفس، والصحة النفسية والطب ونحو ذلك.

أقول: بعد كل هذا فإنه يجمل بى البيان على النحو الآتى وذلك من عدة وجوه:

أولها: كون القرآن شفاء لما فى الصدور.

وفيه مسائل

الأولى: فى المراد بالصدور فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧]

يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: والمراد بالصدور النفوس كما هو شائع فى الاستعمال أ هـ[١].

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠١/١٥.

وعليه فلفظ الصدور هنا يطلق ويراد به أشياء كثيرة منها: ما يعرف بأمراض القلوب من كفر ونفاق وشك وظن وشبهة وحسد وحقد ونحو ذلك.

ومنها ما يعرف بالأمراض النفسية سواء كان نفسية بحتة – كما يحلو للبعض تسميتها – كالقلق، والكبت، والخوف، والهوس، وما شابه ذلك، أو كانت عضوية سببها نفسي بحت؛ لأنه لابد حينئذ من علاج السبب ليزول المسبَب (بفتح الباء الأولى) تلقائياً، أو بالعلاج.

أو كانت عضوية.سببها إيذاءات شيطانية أو نقول تسلط أرواح شريرة كالشياطين وغيرهم من مس أو سحر، أو نحو ذلك.

تنبيه

ويجمل بي أن أنبه –هنا – وأستميح القارئ عذراً لأنه في هذا الاستطراد الذي ربما يكون في غير محله في نظر الكثيرين إلا أنني أود من خلاله أن أسجل موقفي تجاه هذه الجزئية الأخيرة وهي حقيقة المس الشيطاني، والسحر وتأثير ذلك على الإنسان.

فأقول : إنني من جملة المقرين والمصدقين بذلك لورود الأخبار في القرآن، وفي السنة الصحيحة ولملاحظة الواقع. وهذا هو مذهب السلف الصالح، وإن خالف في ذلك الآخرون منكرين كانوا أو متأولين وهذا ما أردت التنبيه إليه. والله من وراء القصد.

المسألة الثانية : في أسباب تلك الأمراض

إن القارئ للقرآن الكريم يلحظ أن نصوصاً كثيرة فيه ترجع سبب تلك الأمراض إلى سوء العلاقة بين الإنسان وخالقه سبحانه، أو ضعف تلك العلاقة، أو الإعراض عن القرآن الكريم وعن ذكر الله عز وجل.

من هذه الآيات على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: من الآية١٢٤]

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩] ومنها قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس:٧ – ١٠]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل :٨ – ١٠]

والآيات في هذا المقام أكثر من أن تحصى والمستفاد من هذه الآيات أن المعاصي يترتب عليها أو نقول ينجم عنها المعيشة الضنك، والخيبة، وتعسير الأمور، وهذه الأحوال فقط – فضلاً عن أشياء كثيرة في هذا المقام – لا يخفى على أحد ما ينجم عنها من أمراض نفسية فلك أن تتخيل شخصاً صارت معيشته ضنكاً وآخر تعسرت عليه أموره كيف يكون حاله؟!

وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إن المؤمن إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح(١).

جاء في كتاب العلاج النفسي في ضوء القرآن والسنة: أن العنصر الروحي هو الذي يربط الإنسان بخالقه تبارك وتعالى وهذه العلاقة ضرورية للغاية بالنسبة لفعالية الإنسان الروحية والوجدانية فعندما ينسى الإنسان ربه تضعف هذه العلاقة، ويحدث الاضطراب في فعاليته.

وبعد ذكر لجملة من الآيات الواردة في المقام. جاء : وبهذا يظهر أن مشاكل الإنسان والتي تظهر في علاقته ببيئته من خوف، وقلق، وشعور بالذنب، وإحباط، وتعاسة، وعدم توافق اجتماعي، وصراعات نفسية، وشعور بالوحدة، ومشكلات جنسية، ترجع جذورها في الحقيقة إلى ضعف علاقة الإنسان بربه...أهـ(٢).

المسألة الثالثة: في تأثير القرآن الكريم على تلك الأمراض

من المعلوم أن للقرآن الكريم تأثيراً بالغاً على تلك الأمراض وبيان ذلك من جهتين:

إحداهما: التأثير الوقائي، وثانيتهما التأثير العلاجي.

وهذان الأمران لا يمكن الفصل بينهما بحال؛ لأنهما متداخلان فتقوى الله عز وجل – على سبيل المثال – هي وقاية كما أنها في نفس الوقت علاج شأن الصلاة، والذكر، والصبر.

---

(١) سنن الترمذي كتاب التفسير، ب تفسير سورة المطففين، حديث ٣٣٤، ومسند الإمام أحمد ٢٩٧/٢، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، حديث ١٦٧٠.

(٢) العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة للدكتور عبد المنان ملا معمور يوسف باز ، ص ٨ – ٩ ، ط أولى دار البشائر الإسلامية.

أما تأثيره الوقائى فيتضح من خلال:

- تحذيره من الشرك قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] وقد فسر النبى ﷺ الظلم الوارد هنا لما شق ذلك على الناس عند نزول الآية فسره بالشرك الوارد ذكره فى سورة لقمان لما قال له أصحابه وأينا لم يظلم نفسه يا رسول الله؟ قال: "إنه ليس الذى تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: إن الشرك لظلم عظيم" إنما هو الشرك"(١).

فانظر ما تقرره الآيات من أن الشرك ينجم عنه عدم الأمن من قلق واضطراب وعدم استقرار نفسى بينما الإيمان بالله هو السبيل إلى تحقيق الأمن والأمان فهو يلعب – على ما جاء فى كتاب الأمراض النفسية – دوراً كبيراً فى إنقاذ حياة كثير من المرضى الضائعين التائهين فى متاهات الحياة الغارقين فى غياهب المشكلات النفسية. أهـ(٢) قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: من الآية٢٨]

- كذلك تأثيره الوقائى يتضح من خلال تحذيره من النفاق حيث أفادت الآيات أن المنافق شخص غير مستقر على حال وعدم الاستقرار إن لم يكن مرضاً نفسياً فماذا يكون؟

قال تعالى: ﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ [النساء: ١٤٣] وقال تعالى عنهم – أيضاً – : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة:١٤] تأمل الآية جيداً أى ما هم منكم أيها المؤمنون ولا منهم أى اليهود فلا هم عندهم جرأة الكفار ولا صراحة المؤمنين بل هم متحيرون بين هؤلاء وهؤلاء كما أفادت الآية الأولى وبين ذلك أتم بيان قوله تعالى وهو يتحدث عنهم فى سورة البقرة ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ [البقرة: من الآية ١٠]

- كذلك حذر القرآن من إتباع الشهوات، والحسد، والحقد، والغضب، واليأس والقنوط، وغير ذلك من هذه الأمراض فى أكثر من موضع لما لهذه الأشياء من آثار سلبية واكتفى بما ذكرته هنا:

(١) رواه الشيخان فى كتاب التفسير عند تفسيرهما لما ورد فى تفسير سورة الأنعام.
(٢) الأمراض النفسية للدكتور فائز محمد على الحاج، ص ٢٠٣، ط ثانية المكتب الإسلامى، بيروت.

لأننى لو تتبعت هذه الأمور لطال الكلام ولخرج البحث عن نطاقه فهى أمور واضحة للجميع وما ذكر فيه غناء.

وبالجملة فقد ذكر العلماء أن لتأثير الآيات القرآنية والهدى النبوى آثاراً ملموسة فى معالجتها للسلوك الإنسانى من جانبه المادى والروحى، وربطه بخالقه جل وعز وبغيره من بنى جنسه حتى يعيش فى صحة نفسية سليمة(١).

وأما عن تأثير القرآن العلاجى فى الأمراض النفسية – وهو الذى يتبادر إلى الذهن من النصوص الواردة فى المقام – فيتضح أيضاً – من خلال ما جاء فى القرآن الكريم من الأمر بالاستعاذة من الشيطان، ومن شر جميع الخلق، ومن شر ظلام الليل، ومن شر السحر والسحرة، ومن شر الحسد والحاسدين ومن شر ما يوسوس به الجن والإنس.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧ – ٩٨] وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق بتمامها]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس بتمامها]

وأمر سبحانه بالدعاء بعامة فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]

وقال: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: من الآية٦٢]

والناظر فى هذه النصوص يلحظ أن فيها جانباً وقائياً يتمثل فى الأمر بتعاطى ما يتفادى به المسلم هذه المشاكل ويلحظ كذلك ما فيها من جانب علاجى يتمثل فى الأمر بقراءة هذه النصوص كرقية.

وبهذا يتأكد – كذلك ما ذكرته من قبل من عدم إمكانية الفصل بين التأثير الوقائى والتأثير العلاجى للقرآن.

(١) العلاج النفسى فى ضوء القرآن والسنة، مصدر سابق، ص ٩٤.

وهذا رسول الله ﷺ يصف علاجاً قرآنياً لإذهاب الحزن والهم ففى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: "ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال اللهم إنى عبدك ابن عبدك، ابن أمتك ناصيتى بيدك ماضٍ فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا"(١).

وقد وردت فى السنة المطهرة أدعية قرآنية كثيرة يقرؤها المسلم عند كل شأن من شؤونه وهى ثابتة فى كتب السنة.

يقول الدكتور فهد الرومى عند حديثه عن قوة القرآن الشفائية للأمراض النفسية : فكم من مسلم إذا تكالبت عليه الهموم توضأ وتطهر ثم أخذ المصحف يتلو ويتلو فتنزاح عنه الهموم وتنجلى فيقوم وكأنما نشط من عقال؟

وكم من مسلم اضطجع على جنبه الأيمن عند نومه وقرأ على نفسه بضع آيات فينام قرير العين آمناً بحفظ الله ورعايته؟ وكم من مسلم التمس الشيطان إلى قلبه سبيلاً وألقى إليه الشبهات والشكوك حتى دعاه داعى الإيمان إلى ترتيب آيات من القرآن فتقضى على كل شبهة وتقطع كل شك، وكم وكم أ هـ(٢).

وقد أجريت عدة تجارب علمية لدراسة التأثير الشفائى للقرآن الكريم فى علاج التوتر العصبى، وتأثيره على هدوء النفس، فقامت مؤسسة العلوم الطبية الإسلامية بمدينة (بنما ستى) بولاية فلوريدا بأمريكا بعدة أبحاث عن القوة الشفائية للقرآن الكريم.

وقد استخدمت أجهزة إلكترونية مزودة بالكمبيوتر لدراسة ما إذا كان للقرآن أى أثر على وظائف أعضاء الجسد البشرى وقياس هذا الأثر إن وجد.

وقد تم تلاوة آيات من القرآن على شرائح مختلفة من الناس فجاءت نتائج تلك التجارب لتثبت أن للقرآن أثراً مهدئاً بنسبة ٦٥%.

وقد أمكن تكرار هذه التجارب فجاءت بنفس النتائج الإيجابية للقوة الشفائية لألفاظ القرآن الكريم على الرغم من تغيير ترتيبها، وتغيير

(١) مسند أحمد ١/٣٩٤، ٤٥٢، وصححه ابن حبان، حديث رقم ٢٣٧٢.
(٢) خصائص القرآن، ص ١١٦، ط التاسعة، مكتبة العبيكان السعودية.

أشخاصها، مما أكد الثقة بهذه النتائج أكثر من مرة.

نشرت هذه التجارب فى إبريل من عام ١٩٨٦م مجلة "منار الإسلام"، التى تصدرها وزارة الأوقاف الإماراتية تحت عنوان (أحدث التجارب العلمية فى أمريكا تؤكد تأثير الألفاظ القرآنية فى علاج التوتر العصبى للأستاذ أبو إسلام أحمد عبد الله(١).

وهذا ما أكد عليه غير واحد من علماء النفس الذين أشاروا عند كلامهم عن علاج الأمراض النفسية من قلق وتوتر ونحوه إلى ما للقرآن من قوة شفائية عالية فى مثل هذه الأمور ناعين وعاتبين فى الوقت نفسه على الأطباء النفسيين الذين يقصرون علاج هذه الحالات وأمثالها على العلاج الطبى بالوسائل المهدئة، والاسترخاء، والعلاج المهنى والتنويم المغناطيسى والعلاج الجماعى، ومزاولة الرياضة، والاسترخاء على أنغام الموسيقى الخفيفة، وعدم التفكير فى الأشياء التى تزعجه أثناء العلاج (وهذا صعب للغاية) وكذلك بعضهم يصف الاتصال الجنسى غير المشروع!! أو تناول بعض المشروبات الكحولية المحرمة كل ذلك من أجل علاج مرض نفسى كالأرق مثلاً.

ومع كل هذا فالنتيجة معروفة وثابتة وهى ازدياد حالات القلق والأرق بين المرضى وهذا واضح من إحصائيات المستشفيات فى الدول الغربية.

وذلك لأن العلاج الذى تقدمه المدرسة الطبية النفسية الحديثة فى أغلبه علاج لأعراض الحالة وليس علاجاً لأسبابها وجذورها، من هنا أصبح القلق مثلاً مرض العصر وكل عصر.

من هنا نراهم ينصحون المتخصصين فى علاج الأمراض النفسية بعدم إغفال الجانب الروحى الذى أهمله المعالجون النفسانيون المسلمون إلى حد كبير فى الوقت الذى يفكر فيه هؤلاء المعالجون أثناء علاج المرضى فى كل أسلوب حديث أو طريقة نفسية غريبة وينسون أو يتجاهلون أن المريض الذى أمامهم ربما تكون أعراضه بسبب الخواء الروحى.

(١) انظر العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى للأستاذ مجدى محمد الشهاوى، ص ١٠٥ فما بعدها، مكتبة القرآن بالقاهرة.
- وانظر دليل المعالجين بالقرآن للأستاذ رياض سماحة، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

فينبغى حينئذ أن يكون علاج الأمراض النفسية متوازناً يجمع بين الجوانب البيولوجية والنفسية من جهة، وبين الجوانب الروحية من جهة أخرى؛ لأن الناحية الروحية لها تأثير واضح فى الجوانب النفسية والانفعالية.

فإذا كان صحيحاً أن بعض المرضى يحتاجون فى البداية إلى عقاقير مضادة فإن الصحيح – أيضاً – أنهم يحتاجون إلى جلسات من العلاج النفسى الروحى. أهـ ملخصاً[١].

وهذا – أيضاً – ما أسفر عنه الحوار الذى وصف بأنه ساخن – ذلكم الحوار الذى دار بين الأطباء النفسيين من جهة، والمعالجين بالقرآن من جهة أخرى فى حضور بعض علماء الأزهر، والذى عقد بالقاهرة فى مستشفى العباسية للأمراض النفسية فى التسعينات.

فقد أكد المتحاورون على ضرورة أن تكون هناك قنوات اتصال بين المعالجين بالقرآن، والأطباء النفسيين، وكذلك على ضرورة تقنين العلاج بالقرآن ووضع الضوابط اللازمة له وأن العلاج بالقرآن جائز أهـ ملخصاً[٢].

وبالجملة: فللقرآن الكريم تأثيره الوقائى العلاجى لتلك الأمراض بأنواعها المختلفة، وهو ما اختصر فى كلمة (شفاء) التى جاءت فى الآيات.

[ففيه الشفاء التام العام لجميع الأمراض العقلية والنفسية والقلبية شفاء من الكفر والشرك والقلق والاضطراب والحيرة والخوف والكبر والحسد والكسل والبخل والعجز والشح والظلم والخرف وهذا ما قررته الآيات][٣].

وأكد هنا على أن قولنا بالتأثير العلاجى للقرآن فى هذه الأمراض لا يمنع أبداً ولا يعنى بحال عدم استعمال المضادات والعقاقير اللازمة للحالة.

---

(١) انظر العلاج النفسى فى ضوء القرآن الكريم والسنة، مصدر سابق، ص ٢١ – ٢٢، ص ١٣٥ والأمراض النفسية مصدر سابق، ص ٤٢ – ٤٤.

(٢) نشرت هذا الحوار فى حينه جريدة الأهرام المصرية العدد ٣٩٣٧٤ السنة ١١٩ عدد الأحد ١٩ ربيع الآخر ١٤١٥، ١٩٩٤/٩/٢٥، ص ١٠، وكذلك جريدة اللواء الإسلامى عدد ٦٢٢، الخميس من نفس الشهر ونفس العام.

(٣) ما بين المعكوفين نقلا عن عقيدة المؤمن للشيخ أبو بكر الجزائرى، ص ٢٤٣، ط ثانية، مكتبة الكليات الأزهرية.

بل الأولى والأفضل حينئذ الجمع بين الأمرين وهذا ما كان يفعله النبى ﷺ فى بعض الأحوال

ثانيها: وأما كون القرآن شفاء لأمراض الأبدان – كما نص على ذلك البعض ففيه – أيضاً – تفصيل يتمثل فى مسألتين:

أولاهما : كونه شفاء من حيث دلالته على ما يقى هذه الأبدان من الأمراض، وهو ما يعرف بالتأثير الوقائى، كتحريمه الخمر وأكل الخنزير، والميتة، والدم المسفوح، وإتيان الفواحش بأنواعها المختلفة، وإتيان النساء حال الحيض، وكتحذيره من الإسراف فى الأكل والشرب ونحو ذلك.

وذلك لأن تعاطى هذه الأشياء – وكما هو متقرر علمياً وواقعياً – يضر ببدن الإنسان ويصيبه بالأمراض الفتاكة أحياناً[١].

وهذا الأمر من الوضوح من جهة معرفة النصوص الواردة فيه ومن جهة معرفة الأضرار الناجمة عنه بحيث لا يحتاج إلى مزيد تفصيل فالإجمال فى الواضحات بيان.

المسألة الثانية : كون القرآن ذاته علاجاً ورقية لأمراض الأبدان

إن الحديث عن هذا الأمر يتطلب منا ذكر أمرين تمهيداً لذكر الرأى الذى أراه راجحاً فى المقام.

أول هذين الأمرين ذكر النصوص المفيد ظاهرها الدلالة على ذلك من القرآن والسنة.

فمن القرآن الكريم الآيات الثلاث التى هى الأصل فى هذا البحث والتى سبق ذكرها فى التمهيد.

ومن السنة

ما ورد فى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى قال: انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفره سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شئ لا ينفعه شئ فقال بعضهم لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شئ فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ وسعينا له بكل شئ لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شئ؟ فقال بعضهم :

---

(١) انظر تفاصيل ذلك فى كتاب الطب النبوى والعلم الحديث للدكتور محمود ناظم النسيمى، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.

نعم والله إنى لأرقى ولكن استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق حتى تجعلوا لنا جعلاً فصالحوهم على قطيع من الغنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ "الحمد لله رب العالمين" فكأنما أنشط من عقال. فانطلق يمشى وما به قلبة (أى أذى) قال: فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقتسموا فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ فنذكروا له ذلك فقال: "وما يدريك أنها رقية"؟ ثم قال: "قد أصبتم اقسموا واضربوا لى معكم سهماً".(١) واللفظ للبخارى.

ومنها ما رواه الشيخان واللفظ للبخارى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتها(٢).

ومنها حديث عائشة رضى الله عنها أمرنى رسول الله ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين(٣).

ثانيهما: مقابلة ما جاء فى الأمر الأول من نصوص أفادت ما وقفنا عليه بنصوص من:

١- القرآن الكريم نفسه تفيد – أيضاً – أن فى الأدوية الطبيعية – شفاء.

كإخباره تعالى عن النحل بقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: من الآية٦٩]

وفى الإخبار عن ذلك دعوة ضمنية إلى الاستشفاء بهذا الشراب لذا رأينا النبى ﷺ يصفه كعلاج لبعض المرضى وسنقف على هذا الخبر بعد قليل.

٢- كذلك هناك نصوص كثيرة فى السنة تفيد أنه كان من هديه ﷺ فى العلاج وصفه الأدوية الطبيعية علاجاً لبعض المرضى، بل كان هو ﷺ يتداوى بها أحياناً.

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن، حديث ١٤٢٠، ص ٦١.
(٢) المصدر السابق، باب رقية المريض بالمعوذات، حديث ١٤١٥، ص ٣٦٠.
(٣) المصدر السابق، حديث ١٤١٨، واللفظ للبخارى.

من هذه النصوص:

١- ما جاء فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: إن أخى يشتكى بطنه وفى رواية : استطلق بطنه فقال "اسقه عسلاً"، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فلم يغن عنه شيئاً. وفى لفظ فلم يزده إلا استطلاقاً مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول له "اسقه عسلاً" فقال له فى الثالثة أو الرابعة صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ(١).

ب- وجاء فى الصحيحين – أيضاً – عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: {إنما الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء}(٢).

ج- جاء فى الصحيحين عن أبى حازم أنه سمع سهل بن سعد يسأل عما دووى به جرح رسول الله ﷺ يوم أحد فقال: جرح وجهه وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان على بن أبى طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم"(٣).

انظر بماذا دووى رسول الله ﷺ إنه علاج بالأدوية الطبيعية.

د- ومنها ما جاء مفيداً حث الرسول ﷺ أهل المريض على إحضار الطبيب لمريضهم.

فقد روى الإمام أحمد فى مسنده أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً به جرح فقال ﷺ "ادع له طبيب بنى فلان" فدعوه فجاءه فقالوا: يا رسول ويغنى الدواء شيئاً؟ فقال: "سبحان الله وهل أنزل الله تبارك

(١) صحيح البخارى ك الطب ب دواء البطون، وب الدواء بالعسل، ج ٧، ص ١٢، ١، موسوعة السنة، ط ٢، دار محنون ، وصحيح مسلم ك السلام ، ب التداوى بسقى العسل، حديث ٢٢١٧، ج ٢، ص ١٧٣٦، موسوعة السنة.
(٢) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، محمد فؤاد عبد الباقى، كتاب السلام، باب ٢٦، لكل داء دواء واستحباب التداوى، حديث ١٤٢٤، ج ٣، ص ٣٦٢.
(٣) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب لبس البيضة، وكتاب الطب باب حرق الحصير ليسد به الدم ومسلم كتاب الجهاد باب غزوة أحد، حديث ١٧٩٠.

وتعـالى من داء فى الأرض إلا جعل له شفاء" قال الهيثمى رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[١].

هـ- وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال "الشفاء فى ثلاث شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار وأنا أنهى أمـتى عن الكى"[٢] إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة والتى لا يتسع المقام لذكر بعضها فضلاً عن ذكرها كلها.

وبعد: فبالنظر فى النصوص السالفة الذكر عن كون القرآن الكريم شفاء لأمراض الأبدان نخلص إلى تقرير.

أن الأمـراض العضوية البحتة تنبغى معالجتها بالأدوية والعقاقير الطبيعية (طب بشرى) ويستحب إلى جانب ذلك الرقية بالقرآن تبركاً.

فهذا هو الذى شرعه الإسلام وعاشه المسلمون.

وهذا – أيضاً – هو الذى يتسق مع السنن الإلهية فى الكون وذلك بالرجوع فى كل أمر إلى خبرائه وأحذق من فيه قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: من الآية٤٣] وقال تعالى: ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: من الآية١٤]

لـذا رأيـنا أنه كان من هديه ﷺ التداوى من الأمراض العضوية بالأدوية الطبيعية، وحثه الآخرين على ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما طب الأبدان فإنه نوعان:

نوع: قد فطر الله عليه الحيوان ناطقة وبهيمة فهذا لا يحتاج فيه إلـى معالجة طبيب كطب الجوع والعطش، والبرد والتعب بأضدادها وما يزيلها.

والـثانى: ما يحتاج إلى فكر وتأمل- : إلى أن قال: فالطبيب هو الـذى يفـرق ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضره تفرقة، أو ينقص منه ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه فيجلب الصحة المفقـودة أو يحفظهـا بالشـكل والشـبه، ويدفع العلة الموجودة بالضد

(١) مجمع الزوائد للهيثمى ك الطب ب خلق الداء والدواء ٥/٨٧، وانظر الفتح الربانى ترتيـب مسـند الإمام أحمد الشيبانى للزرقانى ك الطب، ب ما جاء فى الحث على التداوى ١٧/١٥٦ دار إحياء التراث العربى، بيروت.

(٢) صحيح البخارى كتاب الطب، باب الشفاء فى ثلاث.

والنقـيض، ويخـرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية... أ هـ باختصار[١].

وهذا – أيضاً – هو قول المعالجين بالقرآن[٢].

وثمـة شـئ ينبغى التنبيه إليه فى هذا المقام وهو أن النصوص الواردة فى الرقية بالقرآن – أى فى الرقية للأمراض العضوية – معظمها يتضمن شيئاً مادياً – أيضاً – كالتفل والنفث فى اليدين ثم مسح مكان الداء بهما، أو مسح كل الجسد.

ونحو ذلك كقراءة الرقية فى ماء ثم شربه، أو كتابتها بمداد طاهر ثم شربه – أيضاً ...إلخ.

الأمر الذى يقوى ما رجحته من خلال مقابلة النصوص الصحيحة بعضـها مع بعض، ومن خلال ما قاله المحققون من العلماء حسبما تقدم بيانه.

ولكن قد يحدث الشفاء من الأمراض العضوية بالاستشفاء بالقرآن ولا حرج على فضل الله ولكن هذا – أيضاً – استثناء ومعلوم أن الأمور الاستثنائية لا تبنى عليها أحكام. والله أعلم

(١) الطب النبوى، ص ٨ – ١٠.

(٢) دليل المعالجين بالقرآن للشيخ رياض سماحة، ص ١٣.

الوجه الثالث: فى الأمراض الأخرى

وأقصد بها هنا غير التى سبق الحديث عنها وهى:

١- الأمراض العضوية والروحية

أقــول هذه الأمراض يكون علاجها – بإذن الله تعالى – بالمركب من الأدوية الطبيعية والإلهية.

وقد كان هذا من هديه ﷺ فى مثل هذا الأمر ففى الوقت الذى أمر فــيه ﷺ بالرقــية من العين كما فى الحديث المروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها[١].

نجــد أنه ﷺ يأمر – أيضاً – العائن أن يغتسل والمعين أن يغتسل منه.

فقــد روى مالك رحمه الله عن ابن شهاب عن أبى أمامة به سهل بن حنيف قال: رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف يغتسل فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة قال: فلبسط[٢] سهل فأتى رسول الله ﷺ عامراً فتغيظ عليه وقال "علام يقتل أحدكم أخاه ألا بركت[٣] اتغسل له" فغسل له عامــر وجهه ويديه ومرفقيه، وركبتيه، وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قــدح ثــم صب عليه فراح مع الناس[٤]، وبالجملة فدواء المصاب بالعين يكون بالأمرين معاً.

يكــون بالرقية بالقرآن وهذا ما نص عليه – أيضاً – القرآن نفسه فى سورتى الفلق، والناس، وكذلك بالأدعية الشرعية.

ويكــون – أيضــاً – بالأدوية الطبيعية وهو ما أشار إليه الحديث المأمور فيه باغتسال العائن للمعين.

وقس على ذلك كل الأمراض التى هى من هذا القبيل والنصوص فى ذلك كثيرة وما ذكرته منها إنما هو على سبيل التمثيل فقط.

---

(١) سبق.

(٢) أى صرع وزناً ومعنى: فتح البارى لابن حجر ، ج ١٠، ص ٢٠٤، دار المعرفة، بيروت.

(٣) أى قلت: تبارك الله.

(٤) الموطأ كتاب العين، ٢/٩٣٨، ورجاله ثقات كذا قال : شعيب وعبد القادر الأرنؤوط عــند تخــريجهما للحديث فى الطب النبوى لابن القيم، وقال ابن حجر صححه ابن حبان فتح البارى ١٠/٢٠٤.

٢- الأمراض العضوية التى سببها إيذاءات شيطانية

أى تســلط الأرواح الشريرة –من مثل الصرع، والمس، والسحر ونحو ذلك وما ينجم عنها من أورام فى المخ، أو شلل، وخلاف ذلك. وقد ســبق أن سجلت موقفى من هذه القضية – حيث ينكرها الكثيرون – فى نهاية المسألة الأولى من المطلب الثانى من المبحث الرابع.

أقــول إن الأمــراض التى هى من هذا النوع إنما يكون علاجها بالأدوية الإلهية –قطعاً – أعنى بالاستشفاء بالقرآن.

يدل لذلك عدة أمور:

أولها: القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَــبَ وَمِــنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة القلق بتمامها]

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْــوَاسِ الْخَــنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس بتمامها]

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون:٩٧ – ٩٨].

ثانيها: السنة النبوية

من ذلك ما جاء فى الرقية بالمعوذات[١]

ومن ذلك ما رواه البخارى عن النبى ﷺ "أن من قرأ آية الكرسى لا يزال معه من الله حافظاً ولا يقربه شيطان حتى يصبح"[٢].

ومــن ذلك حديث "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه"[٣].

قــال الــنووى: معنى "كفتاه" قيل من قيام الليل، وقيل : كفتاه من الشيطان، وقيل من الآفات، ثم قال: ويحتمل من الجميع أ هـ[٤].

---

(١) هى أحاديث صحيحة وقد سبقت.

(٢) صحيح البخارى تاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة.

(٣) بخــارى الســابق، ومسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة.

(٤) مسلم بشرح النووى ٦/٩١ – ٩٢.

ومن ذلك حديث "...إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة"[١].

ثالثها : أقوال العلماء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ومن أعظم ما ينتصر به عليهم (أى الجن) آية الكرسى[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية بل هى أدويته النافعة بالذات فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل تأثيرها...إلخ[٣].

وهذا – أيضاً – ما أسفر عنه الحوار الذى دار بين أطباء الأمراض النفسية، والمعالجين بالقرآن، وبحضور بعض علماء الأزهر والذى تم بمستشفى الأمراض النفسية بالعباسية بالقاهرة.

فقد اتفق الجميع على أن العلاج بالقرآن جائز ووسيلة ناجعة ولكنهم اختلفوا فى تفسير المرض.

واتفقوا كذلك على أن الجن يسبب أمراضاً أخرى مثل ورم المخ، أو الشلل، أو أعراضاً أخرى أ هـ[٤].

وإلا فما هو التفسير الصحيح للأمراض التى يستعصى على الأطباء علاجها فى مثل هذه النوعية فى حين أنه يتم علاجها بالقرآن.

قلت: ولا مانع إذا تطلب الأمر استعمال بعض العقاقير الدوائية لكن الأصل فى علاج هذه الحالات هو العلاج بالقرآن.

٣- كذلك قد تكون هناك أمراض سببها إيذاءات شيطانية لكنها ليست عضوية وإنما هى شبيهة بالأمراض النفسية فنرى صاحبها كاسف البال، متغير المزاج، ونحو ذلك من الأعراض فعلاجها يكون – أساساً – بالأدوية الإلهية.

---

(١) صحيح مسلم، ٥٣٩/١.
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، ج١٩، ص ٥٣، ط أولى، ١٤٢٣.
(٣) الطب النبوى، ص ١٢٦ – ١٢٧.
(٤) مجلة المجالس بالقاهرة، عدد ٩٨٦، بتاريخ ١٩٩٠/٦/٢٦م، ص ٦١، انظر نهاية كتاب دليل المعالجين بالقرآن للشيخ: رياض محمد سماحة.

الوجه الرابع: فى بيان عدم التعارض بين الأدوية الإلهية والأدوية الطبيعية فى العلاج

اعلم أن القول بالاستشفاء بالقرآن لا يعنى البتة عدم العلاج عن طريق الطبيب والدواء وإنما ينبغى أن يتلازم الأمران فالإسلام أمر بالتماس الأسباب المادية للعلاج كما أمر – أيضاً – بالتوكل على الله تعالى والثقة به فهو وحده الشافى قال سيدنا إبراهيم عليه السلام كما ذكر القرآن الكريم ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠]

وقد وقفت فيما سبق على جملة من النصوص الدالة على صدق ذلك وهذا ما عناه ابن القيم رحمه الله تعالى. بقوله: وكان علاجه ﷺ للمرض ثلاثة أنواع:

أحدها: بالأدوية الطبيعية.

ثانيها: بالأدوية الإلهية.

ثالثها: بالمركب من الأمرين. أ هـ[١].

يقصد أن كل نوع من هذه الأنواع يعالج مرضاً معيناً كما مر بك ذلك وفى الوقت نفسه لا يمنع من الاستعانة بالدواء الآخر.

فى حين أن بعض الأمراض يحتاج إلى النوعين ضرورة.

ثم قال ابن القيم رحمه الله تعالى – فى موضع آخر – مبيناً فوائد الاستشفاء بالأدوية الإلهية إلى جانب الطبيعية منها واعلم أن الأدوية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع مضراً وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع بعد حصول الداء فالتعوذات والأذكار إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرقى والعوذ تستعمل لحفظ الصحة ولإزالة المرض أهـ[٢] ثم قال فى موضع آخر: ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواص ومنافع مجربة فما الظن بكلام رب العالمين. أهـ[٣]، ويقول الشيخ رياض سماحة: يقين القلوب لا يتعارض مع سعى الجوارح.

---

(١) الطب النبوى، ص ٢٤.
(٢) الطب النبوى، ص ٢٨٢.
(٣) المصدر السابق، ص ١٧٧.

إن كان عندنا يقين صحيح فلابد أن يتبعه سعى صحيح وأخذ بالأسباب.

فإذا كان المرض عضوياً وترتب عليه الذهاب للطبيب فذلك لا يتناقض مع العلاج بالقرآن إطلاقاً.

فإذا كنت أنا مؤمنا حقاً فلابد من أن اتبع الأسباب أذهب إلى الطبيب وأتداوى بالعقاقير ومع ذلك استشفى بتلاوة القرآن الكريم وأدعو الله أن يشفينى لكن إذا كان المرض روحياً هنا يجب علينا ألا نتعب أنفسنا لأن العلاج عند الأطباء حينئذ غير مجدٍ. أهـ[١].

وبهذا يتضح أنه لا تناقض بين الأمرين ولا تعارض بل كلاهما متلازمان. والله أعلم.

تنبيه

قد يحدث أن يتخلف الشفاء مع الاستشفاء بالقرآن – كما هو الحال – تماماً – مع التداوى بالأدوية الطبيعية – وليس ذلك لقصور فى الدواء كما يقول ابن القيم رحمه الله – ولكن لخبث الطبيعة وفساد المحل وعدم قبوله..[٢].

المبحث الخامس

شروط الرقية (العلاج) بالقرآن

لقد انتشرت مراكز العلاج بالقرآن – فى الآونة الأخيرة – وانتشر كذلك – المعالجون كأفراد انتشاراً ملفتاً للنظر.

والواقع الذى لا يمكن مدافعته قاض بما لا يدع مجالا للشك أن هذا المجال قد اقتحمه كثيرون غير مؤهلين للقيام بهذا الأمر لهذا كله وضع العلماء من قديم شروطاً ينبغى توافرها فى كل من المعالِج (بكسر اللام) والمعالَج (بفتحها) لكى يكون العلاج ناجعاً، ولكى يميز الأصيل من الدخيل والخبيث من الطيب ممن يقومون بهذا العمل.

فمتى تحققت هذه الشروط كلها أو جلها حكم بجواز ذلك ومتى تخلفت كلها أو جلها حكم بعدم جواز ذلك حتى لا يجد المشعوذون

(١) دليل المعالجين بالقرآن، ص ٣٦٥، اللواء الإسلامى، عدد ٦٠٣، الخميس ٨/١٢/ ١٩٩٤م.

(٢) الطب النبوى، ص ٣٦.

والدجالون الذين ضيق الخناق عليهم الفرصة سانحة أو أقول حتى لا يجدوا متنفساً من خلال دعواهم العلاج بالقرآن الكريم.

أما عن الشروط التى اشترطها العلماء فبيانها كالآتى:

أولاً – الشروط التى ينبغى توافرها فى المعالِج "بكسر اللام":

- اشترط العلماء فى المعالِج أن يكون قوى الإيمان متدبراً لكتاب الله تعالى فاهماً له عالماً وعاملاً به متقناً لقراءته.
- كما يشترط فيه أن يظهر قراءته عند الرقية ولا يتمتم بها تمتمة لأننا لا نضمن حينئذ أن تكون بكلام آخر ممنوع.
- كما يشترط فيه – أيضاً – أن يكون موقناً ومقتنعاً بأن الآيات والتحصنات هى الوسيلة والسبب الذى يؤدى إلى تحقيق الشفاء بإذن الله تعالى وهو الغاية.
- واشترطوا فيه أن يكون ذا همة مؤثرة، باراً، منفعلاً، مع ما يقرؤه أهـ[١].

ثانياً –الشروط التى ينبغى توافرها فى المعالَج (بفتح اللام):

- اشترطوا فيه بعض ما اشترطوا فى المعالِج من قوة الإيمان والإخلاص والانفعال مع الآيات والثقة فى أن ما يرقى به من آيات القرآن فيه خاصية الشفاء وأن الشفاء سيحصل بإذن الله تعالى.
- واشترطوا فيه أن يحسن العليل التداوى به ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام.

يقول الزركشى فى البرهان: عند حديثه عن خواص القرآن ولا سيما – خاصية الاستشفاء به – وهذا النوع لن ينتفع به إلا من أخلص قلبه ونيته وتدبر الكتاب وعقله... إلى أن قال: هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب، وإن لم يكن كذلك كان فعله مكذباً لقوله. أهـ[٢].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور، ٢٠٣/١١، وانظر الطب النبوى، ٢٥٢، وزاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم، ١٧٨/٣، ونيل الأوطار للشوكانى، ٢٠٣/٨، دار القلم، بيروت.

(٢) البرهان فى علوم القرآن للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤٣٧/١، النوع ٢٧، دار المعرفة، بيروت.

ويقول ابن القيم رحمه الله تعالى: هناك أمر ينبغى التفطن له وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها هى فى نفسها نافعة شافية ولكن تستدعى قبول المحل وقوة وهمة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوى يمنع أن ينجح فيه الدواء كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسية، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه أثره فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول.

فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان للراقى نفس فعالة وهمة مؤثرة فى إزالة الداء أهـ[١].

وقال فى موطن آخر: فشفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة والقلوب الحية أهـ[٢].

وقال الشوكانى عبارة اختصر فيها كل ما سبق قال: إن العلاج بالرقى إنما ينفع بأمرين:

أحدهما: من جهة العليل وهو صدق القصد.

ثانيهما: من جهة المداوى وهو توجه قلبه إلى الله وقوته بالتقوى والتوكل على الله. أهـ[٣].

وعليه فأقول كل من لم تتوافر فيه هذه الشروط ينبغى استبعاده ومحاسبته على ممارسته تلك المهنة؛ لأنه والحالة هذه يضر أكثر مما ينفع من جهة تشويهه لصورة هذا الأمر وعليه – أيضاً – فإن الدخلاء من مشعوذين ودجالين مستبعدون لا محالة.

وفى رأى أنه ينبغى – والأمر قد فرض نفسه على الساحة وأصبح واقعاً لا يمكن دفعه أو التغاضى عنه –أقول ينبغى أن تخضع مراكز العلاج بالقرآن وكذلك يخضع المعالجون بالقرآن لإشراف هيئات دينية حكومية كوزارات الأوقاف، أو المجامع الدينية الموجودة فى كل قطر إسلامى. كذلك ينبغى أن يكون هناك تنسيق بين تلك المراكز وبين عيادات ومستشفيات الطب النفسى.

---

(١) الداء والدواء لابن القيم، ص ٩ – ١٠ ، تحقيق هانى الحاج ، المكتبة التوفيقية بالقاهرة.
(٢) الطب النبوى، ص ٣٦.
(٣) نيل الأوطار له، ٢٠٣/٨.

المبحث السادس
فى بيان أحكام مهمة تتعلق بموضوع البحث

وفيه عدة مسائل

المسألة الأولى : حكم قراءة القرآن أو الذكر فى الماء ثم صبه على المريض.

قال القرطبى: كانت عائشة رضى الله عنها تقرأ بالمعوذتين فى إناء ثم تأمر أن يُصب على المريض[١].

وذكر ابن أبى شيبة فى مصنفه أن عائشة رضى الله عنها كانت لا ترى بأساً أن يعوذ فى الماء ثم يصب على المريض[٢].

وجاء فى سنن أبى داود وصحيح ابن حبان أن الرسول ﷺ قرأ فى ماء لثابت بن قيس ﷺ، وكان مريضاً ثم صبه عليه. وإسناده صحيح[٣].

وجاء فى مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ ابن باز: أن الرقية فى الماء لا بأس بها وذلك بأن يقرأ فى الماء ويشربه المريض أو يصب عليه فقد فعل ذلك النبى ﷺ وكان السلف يفعلونه فلا بأس به. أهـ[٤].

وعليه فالحكم الجواز.

المسألة الثانية: حكم كتابة القرآن أو الذكر فى إناء ثم شربه

قال القرطبى واختلف فى النشرة "وهى أن يكتب شئ من القرآن أو من أسماء الله تعالى ثم يُغسل بالماء ثم يُمسح به المريض أو يسقاه" فأجازه سعيد بن المسيب ولم ير مجاهد جواز ذلك ومنعها الحسن وإبراهيم النخعى.

ثم قال: وأول المجوزون حديث "النشرة من عمل الشيطان"[٥] على أن النهى محمول على إذا ما كانت خارجة عما فى كتاب الله وسنة

---

(١) تفسير القرطبى، ٢٧٧/١٠.
(٢) المصنف، تحقيق سعيد محمد اللحام، ب ١٥، حديث ٢، ج ٥، ص ٤٣٣، ط دار الفكر، بيروت.
(٣) سنن أبى داود ك الطب ب ما اء فى الرقى ١٠/٤، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، وصحيح ابن حبان كل الطب ب ذكر الخبر المدحض قول من نفى جواز اتخاذ النشرة ٤٤٧/١٣، وإسناده صحيح.
(٤) ج١، ص ٥٢، ط مكتبة المعارف بالرياض.
(٥) مجمع الزوائد للهيثمى حديث رقم ٨٣٩٧، ج ٥، ص ١٠٢.

نبيه ﷺ وعلى المداواة المعروفة، والنشرة من جنس الطب فهى غسالة شئ له فضل فهى كوضوء رسول ﷺ أهـ[١].

وذكر البغوى أن أبا قلابة البصرى أحد الأعلام وكان ثقة كتب كتاباً من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع[٢].

وممن أفتى بجواز ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: نص على ذلك أحمد وغيره أهـ باختصار[٣].

وأشار ابن القيم إلى أن هذا رأى جماعة من السلف.

وقال النووى – بعد أن ذكر المجوزين والمانعين – : ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به[٤].

وأفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب؛ لأنه بلا رقية نجاسة الباطن قال الزركشى: وفيه نظر[٥].

وقد أفتى أعضاء اللجنة والإفتاء فى المملكة السعودية بأن الأولى ترك ذلك[٦].

قلت: وفيه نظر والصواب جواز ذلك.

المسألة الثالثة: حكم كتابة آيات القرآن على عضو المريض

ذكر ابن القيم ما يفيد جواز ذلك، وأن شيخه ابن تيمية قد فعله بنفسه ولغيره.

قال : وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يكتب لمن أصيب برعاف على جبهته ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [هود: من الآية٤٤]

وسمعته يقول : كتبتها لغير واحد فبرأ، وقال لا يجوز كتابتها بدم الراعف كما يفعله الجهال؛ لأنه نجس. ثم ذكر ابن القيم نماذج لما يكتب من الآيات على الأعضاء لمريضه[٧].

---

(١) تفسير القرطبى ٢٧٩/١٠، وانظر مصنف بن أبى شيبة ٤٣٤/١٠.
(٢) شرح السنة له، ج١٢، ص ١٦٦، ط أولى المكتب الإسلامى، بيروت.
(٣) مجموع الفتاوى، ٦٤/١٩.
(٤) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ٢١٢/٢، والنوع الخامس والسبعون.
(٥) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى، ٢١٢/٢، النوع الخامس والسبعون.
(٦) مجلة البحوث الإسلامية، عدد ١٢ لعام ١٤٠٥هـ، ص ١٠٢، وعدد ٢١ لعام ١٤٠٨ هـ، ص ٤١٧.
(٧) زاد المعاد، ٣٥٨/٤.

قلت: والأولى ترك ذلك صيانة للقرآن من الابتذال وحفاظاً على قدسيته فقد يظل المكتوب على العضو وقتاً طويلاً ولا يؤمن دخول صاحبه الخلاء وارتياده الأماكن غير الطاهرة.

المسألة الرابعة: حكم تعليق التمائم من القرآن أو الأذكار للتبرك

رأى جماعة من السلف منهم ابن مسعود وابن عباس وغيرهما ومنهم أصحاب ابن مسعود : أن ذلك لا يجوز[١].

وقالت طائفة أخرى منهم ابن المسيب والضحاك وابن سيرين[٢].

لكن المجوزين اختلفوا فى التعليق قبل نزول البلاء وبعده فقالت طائفة يشترط أن يكون التعليق بعد نزول البلاء وهو ظاهر ما روته عائشة رضى الله عنها، لما رواه الحاكم فى المستدرك عنها أنها قالت: "التمائم ما علق قبل نزول البلاء وما علق بعده فليس بتميمة"[٣]، وحملوا أحاديث النهى على التمائم الشركية أما التمائم التى فيها أسماء الله وصفاته فكالرقية[٤].

وبعد أن ذكر القرطبى هذه الأقوال رجح القول إنها جائزة قائلاً أن قول المجوزين أصح فى الأثر والنظر إن شاء الله تعالى.

ثم قال: وما روى من النهى عن ذلك يجوز أن يراد به ما كره تعليقه غير القرآن من أشياء مأخوذة من العرافين والكهان إذ الاستشفاء بالقرآن معلقاً وغير معلق لا يكون شركاً.

ثم قال: وقوله ﷺ "من علق شيئاً وكل إليه"[٥] فمن علق القرآن ينبغى أن يتولاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه والمتوكل عليه فى الاستشفاء بالقرآن. أهـ[٦].

قلت: ولعل المانعين يقصدون سد الذرائع حتى لا يؤدى جواز التعليق إلى تعليق ما ليس كذلك، وأيضاً صون القرآن عن إهانته إذ قد يحمل على غير طهارة؛ لذا أرى الترك أولى .

والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبى: ٢٧٩/١٠ – ٢٨٠، ومصنف بن أبى شيبة، ٤٣٤/٥.
(٢) تفسير القرطبى: ٢٧٩/١٠ – ٢٨٠، ومصنف بن أبى شيبة، ٤٣٤/٥.
(٣) المستدرك للحاكم ٤١٨/٤.
(٤) تفسير القرطبى، ٢٧٩/١٠ – ٢٨٠.
(٥) رواه أحمد ورجاله ثقات، انظر مجمع الزوائد للهيثمى ١٠٦/٥.
(٦) قرطبى، ٢٧٩/١٠.

المسألة الخامسة : فى حكم الاستهزاء بالرقية الشرعية وأهلها

يحرم الاستهزاء بالرقية الشرعية المنضبطة بالضوابط السالفة الذكر[1] لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٥ – ٦٦] ولا عذر لهؤلاء إذ كان يلزمهم – لو كانوا منصفين ومحايدين – تبين الأمر قبل التهجم واستعمال الألفاظ التى تسيل قذى الأمر الذى ينم عن حاجة فى نفوسهم تفصح عنها ألسنتهم، وثمة فرق – كما هو الواقع ونفس الأمر – بين الرقية الشرعية، والشعوذة والدجل.

وفى الوقت نفسه لا ننكر أن ميدان الرقية الشرعية قد ارتاده كثيرون ممن ليسوا أهلاً لهذا الأمر.

لذا نرى والحالة هذه أن انتقاد هؤلاء واجب شرعى؛ لكن هذا لا يعطى العذر أو يجيز التهجم السافر وبهذا الكم والكيف على الرقية وأهلها دون تفصيل وبيان لما هو جلال منها وما هو حرام، أو للمقبول وغير المقبول.

وبالجملة؛ فإن الاستهزاء بالرقية الشرعية وبأهلها بجهل أو بقصد الإساءة للدين يعتبر تعدياً صارخاً على المعتقد والمنهج الإسلامى.

والله أعلم

(١) أقصد شروط الرقية.

الخاتمة

وفيها:

أولاً – النتائج

نستنتج مما سبق:

- أن التداوى من الأمراض مأمور به شرعاً وهو غير مناقض للتوكل على الله تعالى.
- كما أن الاستشفاء بالقرآن الكريم مشروع ولا حرمة فيه ولا كراهة فى تعاطيه متى توفرت الشروط والضوابط التى تنبغى مراعاتها من كل من المعالِج (بكسر اللام) والمعالَج (بفتحها)، وأنه لا تعارض البتة بينه وبين التداوى بالأدوية الطبيعية من عقاقير ونحوها بل كلاهما متلازمان.
- وأن الأمراض أنواع مختلفة:

منها: أمراض القلوب كما أشار القرآن وهى تشمل ما يعرف بالأمراض النفسية بأنواعها المختلفة. فالقرآن شفاء لتلك الأمراض من حيث إنه أشار إليها وبين أسبابها وبين كيف يمكن تفاديها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهو ذو تأثير ذاتى عليها (وهو ما يعرف بالرقية) وهذا لا يمنع من استعمال العقاقير الطبية إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

- وأما أمراض الأبدان فالقرآن شفاء لها من حيث بيان أسبابها ومن حيث دلالته على ما يقى منها.

أما كون: أن له تأثيراً ذاتياً عليها (وهو ما يعرف بالرقية منها) فقد يحدث ولا حرج على فضل الله.

لكن الأصل فى علاجها يكون بتعاطى الادوية الطبيعية وقد كان هذا هديه ﷺ فى ذلك وقد سبق الحديث عنه ويستحب الاستشفاء بالقرآن – معها – التماساً للبركة.

وثمة أمراض أخرى: منها ما يكون عضوياً روحياً فى آن واحد فهذا ينبغى علاجه بالأدوية الإلهية (الرقية) وبالأدوية الطبيعية معاً، وعرفنا من قبل أن هذا – أيضاً – كان من هديه ﷺ فى التداوى من الأمراض.

- وهناك أمراض عضوية سببها إيذاءات شيطانية فهذه يكون الأصل فى علاجها بالرقية الشرعية ولا مانع من استعمال بعض العقاقير إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

- وقد يتخلف الشفاء مع الاستشفاء بالرقية، وليس هذا لعيب فى الدواء وإنما مرد ذلك إما إلى خبث الطبع وفساد المحل وعدم قبول الدواء، هذا من جهة المريض، وإما إلى أن المعالِج (بكسر اللام) ليس أهلاً لهذا الأمر بمعنى أنه لم تتوافر فيه الشروط الموضوعة لذلك.

وهذا الأمر وارد فى الأدوية الطبيعية فكثيراً ما يتخلف الشفاء مع تعاطيها.

ثانياً – التوصيات

أوصى بأن توضع مراكز العلاج بالقرآن تحت إشراف هيئات ومؤسسات دينية كوزارات الأوقاف، أو المجامع والهيئات العلمية الدينية، كما ينبغى أن يكون هناك تكامل بين تلك المراكز وعيادات الطب النفسى كذلك يوضع تقنين وضوابط لهذا الأمر لنضمن سيره فى مساره الصحيح أعنى الموافق للكتاب والسنة وحتى لا نعطى الذريعة للمنكرين والمستهزئين والساخرين من هذا الأمر.

كما أوصى من ليسوا أهلا لممارسة هذا الأمر – أعنى العلاج بالقرآن – أن يتقوا الله ولا يرتادوا هذا المجال حتى لا يكونوا سبباً فى تحريم أمر مشروع، وحرمان الكثيرين من فائدته وحتى لا يعطوا الفرصة للطاعنين.

كما أوصى الطاعنين والساخرين أن يتقوا الله وأن يكونوا منصفين فى حكمهم على الأمور وذلك من منطلق التفريق بين الرقية الشرعية، والدجل والشعوذة وألا يعمموا فى حكمهم على الجميع فهذه الأمور شأنها شأن أى عمل فيه الصالح وفيه غير الصالح.

فلا ينبغى أن نأخذ الأعمال المنضبطة والمنبثقة من قواعد إيمانية صحيحة بجريرة الأعمال الخاطئة والمخطئ من يقوم بها؛ لأنه ليس أهلا لذلك. الله الموفق

"وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين"

تنبيه: مراجع البحث مدونة فى هوامش الصفحات

وكتبه الدكتور

عبد الله الشمندى عبد الله محمود العوارى

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة
والأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية
بكلية المعلمين بالقنفذة بالمملكة العربية السعودية

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
– المقدمة	٣
– التمهيد	٥
– الآيات القرآنية الواردة فى المقام	٥
– المعانى التى وردت عليها كلمة (شفاء فى القرآن)	٥
– المصطلحات المستعملة فى المقام	٦
– معنى (من) فى قوله تعالى(وننزل من القرآن ما هو شفاء) .	٧
– التنبيه إلى أن القرآن ليس كتاب طب	٧
– التنبيه إلى أن كتابى فى هذا الموضوع لا تعنى بالضرورة كونى ممن يمارس هذا الأمر	٧
– المبحث الأول : فى مشروعية التداوى من الأمراض وبيان كونه غير مناقض للتوكل وفيه مطلبان	٩
– المطلب الأول : مشروعية التداوى من الأمراض	٩
– المطلب الثانى : فى بيان أن التداوى من الأمراض غير متناقض للتوكل	١٢
– المبحث الثانى : مدى مشروعية الاستشفاء بالقرآن الكريم	١٤
– تنبيه فى المقام	١٦
– المبحث الثالث : أنواع الأمراض	١٧
– المبحث الرابع : نوعية الأمرض التى يستشفي منها بالقرآن الكريم	١٩
– المطلب الأول : أقوال العلماء فى ذلك	٢٠
– المطلب الثانى : موقف الباحث	٢١
– أسباب تلك الأمراض	٢٢
– تأثير القرآن الكريم على تلك الأمراض	٢٣
– كون القرآن ذاته علاجاً ورقية لأمراض الأبدان	٢٩
– الوجه الثالث : فى الأمراض الأخرى	٣٤
– الأمراض العضوية والروحية	٣٤
– الأمراض العضوية التى سببها إيذاءات شيطانية	٣٥
– القرآن الكريم	٣٥
– السنة النبوية	٣٥

- أقوال العلماء ٣٦
- الوجه الرابع: فى بيان عدم التعارض بين الأدوية الإلهية والأدوية الطبيعية فى العلاج ٣٧
- تنبيه ٣٨
- المبحث الخامس: شروط الرقية (العلاج) بالقرآن ٣٨
- الشروط التى ينبغى توافرها فى المعالج بكسر اللام ... ٣٩
- الشروط التى ينبغى توافرها فى المعالج (بفتح اللام) ٣٩
- المبحث السادس : فى بيان أحكام مهمة تتعلق بموضوع البحث. ٤١
- المسألة الأولى : حكم قراءة القرآن أو الذكر فى الماء ثم صبه على المريض ٤١
- المسألة الثانية: حكم كتابة القرآن أو الذكر فى إناء ثم شربه ٤١
- المسألة الثالث : حكم كتابه آيات القرآن على عضو المريض ٤٢
- المسألة الرابعة : حكم تعليق التمائم من القرآن أو الأذكار للتبرك ٤٣
- المسألة الخامسة : فى حكم الاستهزاء بالرقية الشرعية وأهلها ٤٤
- الخاتمة ٤٥
- النتائج ٤٥
- التوصيات ٤٦
الفهرس ٤٧

فهرس الموضوعات
الجزء الثانى

تحقيق الخلاف فى أصحاب الأعراف
د/ أبو بكر على الصديق ٦٥٥- ٦٩٤
توجيه القراءات المتواترة ونتائج الاختلاف فيها
د/ عدنان بن عبد الرزاق الحموى العلبى..... ٦٩٥-٧٢٤
الإمام الشاطبى والتصوف ميزان التصوف عند الشاطبى
د/ محمود محمد حسين على ٧٢٥-٧٧٢
شيئية المعدوم وعلاقتها بقضية خلق العالم بين المعتزلة والأشاعرة
د/ السيد على أبو طالب ٧٧٣-٨٣٢
موقف العقيدة الإسلامية من قضية الردة
د/ جميل إبراهيم السيد تعيلب..... ٨٣٣-٩٣٨
صفة الكلام الإلهى عند الفرق الإسلامية
د/ جمال محمد منصور..... ٩٣٩-٩٦٠
السترة تذكير المصلين بأن السترة أو جبها سيد النبيين عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم
د/ عبد الله بن عبد الحميد بن منصور ٩٦١-١٠٠٠
عقوبتا الذانى المحصن والمرتد فى ضوء السنة النبوية ودفع الشبهات
د/ عماد السيد الشربينى ١٠٠١-١٠٧٢
هدى النبى الأمين فى تحقيق الوحدة بين المسلمين
د/ وإلى عبد الهادى إبراهيم ١٠٧٣-١١٠٦
الخطاب الإسلامى بين الإصالة والتجديد
د/ محمد عبد العزيز محمد عوض ١١٠٧-١١٣٦
الفتح الربانى فى رد دعوى المستشرقين استمداد الشريعة من القانون الرومانى
د/ عبده على عبده مقلد..... ١١٣٧-١١٦٦
أهل الذمة فى الإسلام بين الفكر الصحيح والفهم الخاطئ
د/ أحمد محمد أحمد الشرنوبى ١١٦٧-١٢٠٤
التبيان فى قضية الاستشفاء بالقرآن
د/ عبد الله الشمندى عبد الله محمود العوارى..... ١٢٠٥-١٢٥١

رقم الإيداع ٦١٣٣
فى ٢٠٠٤/٣/٥
مطبعة الأخوة الأشقاء